Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالقصيدة ، لأن الهدف فى هذا الفصل ليس التركيز على نفسية الشاعر بصفة خاصة نحو الموقف ، وإنما بصفة عامة ، بمعنى أننا حين نعرف أن المعانى التى تدور عادة حول غرض ما من الأغراض الشعرية هى كذا وكذا ، فنريد أن نتبين هل هذا الشاعر ، أو هؤلاء الشعراء ساروا على هذا المنهج ؟ وهل نجد صدى هذا المنهج فى مطالعهم ؟

وإذا أردنا أن نختار غرضاً من أغراض الشعر ليكون مثالاً لهذا المنهج ، فإن غرض المدح هو أوسع أغراض الشعر القديم وأكبرها حجماً فيما وصل إلينا من شعر ، من حيث إن المدح كان بمثابة مزاولة الشعراء حرفتهم الأصلية وهى الشعر ، ويمثل عادة مورد رزقهم ، أو وسيلتهم فى كسب العيش .

ومن الواضح أن الشعراء لا يمدحون عامة الناس ، ولا من هم أعلى من ذلك بكثير ، وإنما يمدحون غالباً أصحاب السلطان ، سواء أكان سلطانهم سياسياً كالخلفاء والأمراء والولاة ، أم سلطاناً اجتماعياً كرؤساء القبائل وأصحاب النفوذ الاجتماعى بأموالهم وجاههم ، لأن مثل هؤلاء هم عادة الذين يرجى من ورائهم النفع ، فيسعى الشعراء إلى هذا النفع ، ويلتفون حوله .

وحين يصل الشاعر إلى هذا النفع يجد أنه قد سبقه شعراء آخرون إلى هذا النفع ، كما أن الشعراء يجدون آخرين قد سبقوهم ، بعضهم من طالبى الجاه ، وبعضهم من طالبى المال ، وبعضهم من طالبى المنصب ، وبعضهم ممن طبعت نفوسهم ، وجبلت طبائعهم على أن يشعروا بالرضا وبالمتعة من مجرد إحساسهم بأنهم يركنون إلى قوة ، أو أن يتطلعوا إلى مرتفع ، ولو لم يستفيدوا من هذه القوة ، أو لم يكونوا فى حاجة إلى الركون إليها ، أو التطلع إلى قمتها وهؤلاء المتسابقون إلى هذا النفع ، يشعر الأسبق منهم أن اللاحق مزاحم له ، ثم يخشى أن يحتل هذا المزاحم مكانه ، أو أن يشاركه فى موضعه ، فيشعر نحوه بالعداء ، ثم يعمل على أن يصده وأن يبعده عن مكان التزاحم وهو مصدر النفع ، وهو لا يريد أن يظهر دخيلة نفسه للناس ، فيلجأ إلى أساليب الكيد والدس والوشاية والنفاق ، ولذلك اشتهرت قصور السلاطين فى كل العصور ، وكل المجتمعات بهذه الأساليب الملتوية التى تهدف إلى الطعن فى الظلام ، وقد لا يشعر عامة الناس بهذه الألوان من الخلق المحيط بذوى السلطان ، لأنهم بعيدون عنه ، ولكن الذين يقتربون يرون فى هذا الظلام الذى يغلف كهوف هذه القصور الأعاجيب ،